

الدعوة التي تلو كل دعوة -
اخرى في عالمنا العربي اليوم
هي هذه الدعوة الى القوة ، في
كل مجالات الحياة المادية

القوة والحريّة

بقلم الدكتور شكوي فيصل

تُحَوِّفُ فيها كل طلاقة الهبة وعفويتها
وطواعيتها من نحو آخر .

إن نداء القوة يجب ان يخاطبه
دائماً صوت الحرية ، وإذا

كنا نؤمن بالقوة كأول مفهوم يجب ان يسود حياتنا المادية
والمعنوية فاننا نؤمن كذلك ان هذه القوة هي قوة الفرد الحرّ
الذي يقدم بكلتا يديه ، رافع الرأس ، رضي النفس ، طروب
الضمير - كل ما يجب ان يقدمه في بشاشة وإسماح ..

★

وهذه الحرية التي نؤمن بها ليست غريبة عن القوة التي نشدها
ولا بعيدة عنها .. إنها هي هي .. هي التي تفجّر فينا مكان
قوانا ، وتطلق ما استمرّ من إبداعنا ، وتقوم بهذا التفاعل
الغنيّ الحُصْب بيننا وبين الحياة .. ومن غير الحرية نعبّر الطريق
بين الولادة والموت دون ان يكون بيننا وبينه أي تجاوب ..
نعبّر بسداجة الصبي المغلق ، وتصلّب الجندي في الصف ،
لا يملك ان ينظر الى امام او وراء .. لا يستمتع ولا ينتج ،
لا يأخذ ولا يعطي .. ولكن الحرية هي التي تمدّ ساحة الرؤية
امامنا وتوسّع اطرافها ، وهي التي تنقلنا عبر الاجواء البعيدة
نفيد منها ونقيدها ، نعطيها ونأخذ منها ، نتفاعل بها ونتفاعل
معها .. هي التي تجعل وجودنا الداخلي الصغير يضم هذا الوجود
الخارجي الكبير ويطويه .. إنه حيث تكون الحرية المبصرة
تكون القوة القادرة .. قوة لا تتألف من جمع الارقام واحداً
بعد واحد ، بل من تضامها وتواثبها في سلسلة هندسية لانهاية لها .
وإن ضمائرنا هي التي يجب ان تتنفس في هذه الحرية وان
تنمو في ظلها .. فالضمير الحرّ هو القوة التي لا يتطرق اليها
البلب ولا يدركها الفناء .. هو هذه القوة التي لا تني تتألق عند
الانسان نوراً من بين يديه ومن حوله ، وهو بهذا النور يسير .

★

إنها في الظاهر مفهومان : الحرية والثورة .. يتجادل حولها
هؤلاء واولئك .. لا يرون ان في وسع احدهما ان يقوم إلا ان
يعطّل الآخر أو يجلسه .. ولكن قوميتنا التي نؤمن بها
ونعمل لها لا تحتاج ان تعاني هذه المشكلة ، ولا تواجه هذا
الازدواج الخاطيء .. ان اصلتها في نفوسنا وفي تاريخنا .. في
الواقع وفي الماضي .. وإن حتميتها في المستقبل .. إن كل
اولئك يجعل من الحرية والقوة عندنا مفهوماً واحداً .. وجهين لحقيقة
واحدة ، تجليل احدهما لا يساعد على قيام الآخر ولكنه قد يذهب به .

شكوي فيصل

دمشق

والمعنوية .. إلى تحصين مجتمعاتنا وحصن حدودنا .. إلى إيقاظ
روح الجنّد في المواطن العربي جندياً كان ام عاملاً ام استاذاً ..
إن كل مناحي حياتنا الحاضرة ثغرات يستطيع ان ينفذ منها
اعدائنا الاقوياء ، في السياسة والاقتصاد ، في العلم والفن ، في
ال عمران والاجتماع .. ومن مهاننا الرئيسية ان ننقد وطننا الكبير
واوطاننا الصغرى من هذه الاخطار التي ترحف اليها من هنا وهناك .
إن نداء القوة ، الذي يتمثل في هذه المراحل المتتالية من
اليقظة والتنبه والوعي وعمق الادراك والعمل ، كان اثرأ بعيداً
حياة هذا الشعب العربي الثقلة منذ اوائل هذا القرن ... وكان
اثرأ قريباً لهذه الكارثة التي اصابتها فأنفذته كما يصيب الرمح
المسموم جنبم البطل فيسُفِذُه .. ولقد حملنا على اكتافنا وفي
قلوبنا هذه الكارثة كما يحمل البطل رحمة ثم يسعى به الى قاتله ..
يعمل ليردّ اليه الضربة بأقوى منها .. ومن بين أيدينا ومن
خلفنا اشباح الشهداء وأطياف المغاوير الذين تبعثرت اسلاؤهم
على ثرى فلسطين ولوّنت دماؤهم ازهارها .. وفي اذناننا
وآذاننا هذه الاصداء التي تحوّم كل ليل .. تقول : اسقوني
ونحن ، كلّ عربي في كل قطر ، نؤمن ان كل إرادتنا يجب
ان تلتقي في الاستجابة لهذه الاصداء والثأر لها .. وان كل
قواتنا يجب ان تسخّر لهذا الثأر الذي يملأ كياننا الحاضر لأن
كياننا المقبل لن يقوم إلا به ولن ينبنى إلا عليه .. ومن اجل
ذلك نستسيغ كل حرمان ، وننتقل كل تضحية .. ومن اجل
ذلك نرضي ان نجانب كل ترف وان نحتمل كل شظف وان
نتلقى كل كيد .. إن الحياة عندنا ليست حياة الحاضر ولكنها
القدر الذي يمكن ان يهبه هذا الحاضر للمستقبل ..

غير اننا حين نستجيب إلى هذا النداء الغالي ، نداء القوة ،
و حين نلتقي حوله نسخّر له قوانا ونهب له نفوسنا ، نؤمن ان
هذا الالتقاء يجب ان يكون لقاءً حراً .. التقاء ارادات
واعية مطلقة مدرّكة ، تندفع بهذا الفيض المتدفق الداخلي الذي
يجيش في اعماقها .. وان هذا التسخير يجب ان يكون تسخيرواً
ذاتياً ينبع من داخل ولا يأتي من خارج ؛ تثيره النفس وتخلق
الاحساس به ، ولكنها لا تشعر بظله من فوقها ولا باشباحه
من حولها .. وان هذه الهبة ، هبة نفوسنا لهذه الأجداد التي
نسعى اليها ، انما هي محض هبة ، فيها كل الايمان بانها حق وواجب من